AL-ROWAD Journal of Science and Technology
ISSN: 3023-7467
Article Type: Research Article

Received: 07/09/2023 **Accepted:** 18/10/2023 **Published:** 01/12/2023

The Rhetorical Connotations of the Brevity Method in the Holy Qur'an.

Dr. ABDULKRIM ALBHLOUL

Abstract

This research studies a rhetorical pattern that spreads in the Surahs and verses of the Holy Qur'an, circulates on the tongue of the people of rhetoric, and attracts its students in the successive ages, namely, the brevity method and what it suggests of rhetorical connotations and what it contains of a wonderful style. It is one of the most important methods of the Quranic discourse that depicts the semantic and aesthetic dimensions and arouses them in the souls.

The Holy Qur'an's choice of methods comes in conformity with the sematic requirements that the disourse intends. Through them, it aims at addressing the souls according to their situations, taking into account the method of linguistic use, as the methods look homogeneous with the meanings, so neither style dominates over meaning nor meaning dominates over style.

The research aims to clarify the meanings of the method of brevity and the rhetorical connotations that emanate from it in the language of the Holy Qur'an, in addition to clarifying the additions to this method such as ellipsis and hidden intention.

The research concludes the following result, which is that rhetorical connotations of the method of brevity in the Holy Qur'an differ according to the intent of the discourse and its references; these connotations vary and are nurmous, depending on the characteristics, conditions and circumstances of the addressees.

The research method followed in this research is called the descriptive-analytical method. It is done by inspecting the interpretations of the Quranic verses related to the subject of the study, amd the the analysis of rhetorical styles that involve brevity.

Keywords: connotations, rhetoric, brevity, deletion, shortness.

الدّلالات الخطابيّة لأسلوب الإيجاز في القرآن الكريم

د. عبد الكريم البهلول

ملخّص

يدرس هذا البحث نمطًا خطابيًّا انتشر في سور القرآن الكريم وآياته، ودار على لسان أهل البلاغة، وجذب إليه دارسيها في العصور المتلاحقة، ألَا وهو أسلوب الإيجاز وما يوحيه من دلالات خطابيّة وما ينطوي عليه من أسلوب بديع، وهو من أهمّ أساليب الخطاب القرآني الذي يصوّر الأبعاد الدّلاليّة والجماليّة ويثيرها في النّفوس.

حيث إنّ اختيارَ القرآن الكريم للأساليب جاء متطابقًا مع المقتضيات الدّلاليّة الّتي يقصدها الخطاب، ويريد من خلالها مخاطبة النّفوس وَفْق أحوالهم مع مراعاة طريقة الاستعمال اللّغويّة، فالأساليب جاءت متجانسة مع المعاني، فلا الأسلوب يطغى على المعنى ولا المعنى يطغى على الأسلوب.

وسيهدف البحث إلى إيضاح معاني أسلوب الإيجاز والدّلالات الخطابيّة الّتي تنبثق عنه في لغة القرآن الكريم، إضافة إلى بيان متعلّقات هذا الأسلوب كالحذف والإضمار.

وقد خلص البحث إلى النّتيجة التّالية، وهي أنّ الدّلالات الخطابيّة لأسلوب الإيجاز في القرآن الكريم تختلف تبعًا لمقصد الخطاب ومرجعيّاته؛ فهذه الدّلالات تتنوّع وتتعدّد اعتمادًا على صفات المخاطَبين وأحوالهم وظروفهم.

أمّا فيما يخصّ المنهج البحثيّ المتّبع في هذا البحث فهو المنهج الوصفيّ – التحليليّ؛ وذلك بالوقوف على تفسير الآيات القرآنيّة ذات العلاقة بموضوع الدّراسة، وتحليل الأساليب الخطابيّة التي تنطوي على الإيجاز.

كلمات مفتاحيّة: دلالات، خطابيّة، إيجاز، حذف، قِصَر.

مقدّمة

كانَ العَربُ يَملكُونَ نَاصِيةَ البَيانِ التَّعبيريِّ، في الشِّعرِ والخَطَابَةِ، وَقدْ نَزلَ القُرآنُ الكَريمُ بِلُغتِهِم وعَلى مُقْتَضَى كَلامِهِم وأَسَالِيبِهِم كَي يَفْهَمُوا ما جَاء بِهِ، ويَعْمَلوا بِمَا فَهِمُوا، فَكانَ ذِرْوَةَ الفَصَاحَةِ

وَالبَلاغَةِ، أَعْجَزَهُمْ وتَحدَّاهُم أَنْ يَأتُوا بِمِثْلِ أَسَالِيبِهِ البَلاغِيَّةِ، الَّتي تَجمعُ بَينَ المَعانِي الدَّقيقةِ وبَين الأَلفَاظِ الوَجِيزَةِ، فمَعَانِيه تَدُلُّ عَليها أَساليبُه وتَراكِيْبُهُ بِأُسْلُوبٍ خِطَابِيٍّ بَديعٍ يَجْمَعُ بَين المُخاطِبِ والمُخاطَبِ وكأَنَّهما نَفْسٌ وَاحِدةٌ.

ويُلاحِظُ دَارِسُو اللُّغَةِ العَربيَّةِ أنَّ الخِطابَ سماءٌ رَحْبةٌ تَمتَلِئُ بالعَديدِ مِنَ البَدَائِعِ والظَّواهِرِ الفَرِيدَةِ، وقدْ بَرزَ الخِطَابُ في القُرآنِ الكَرِيمِ بُرُوزًا جَليًّا، ومنْ أَهمِّ الأَسَالِيبِ الَّتي جَاءتْ مُنْسَجِمَةً مَعَ الخِطابِ أُسْلُوبُ الإِيجازِ؛ ذَلِكَ الأُسلُوبُ الَّذي سَيْطَرَ عَلى لُغَةِ الخُطباءِ إلى دَرجةٍ جَعلُوهُ البَلاغَةَ بِعَيْنِها، مُستفيدِينَ مِنَ الفِطْرَةِ الإِنْسانِيَّةِ الَّتي تَجْعَلُ القُلُوبَ تَنْجَذِبُ إلى القَولِ المُوجَزِ والكَلامِ المُوحِي، وتُصْبِحُ العُقُولُ مُذْعِنَةً للخطابِ وأَسالِيبِهِ البَدِيعَةِ.

فالإيجازُ شكلٌ من أشكالِ التَّعبيرِ تَتكثَّفُ من خِلاله المَضامينُ الدِّلاليَّةُ بَيانًا وفَصاحةً، وتَظهرُ من خِلالِهِ جَماليَّات التَّعبيرِ الإِبْداعيَّة الَّتي تَجلَّتْ في النَّصِّ القُرآنِيِّ.

لِهذِهِ الأَهميَّةِ كانَ أسلوبُ الإيجازِ مَحطَّ عِنايةِ البّلاغيِّينِ وعُلماءِ القُرآنِ على حدٍّ سواءٍ قَديمِهم ومُحدثِهم، وبناءً على ذَلكَ سيكونُ تَركيزُ هذا البحثِ على إظهارِ وبَيانِ ما انْطَوى عَليه أُسلوبُ الإِيجازِ في القُرآنِ الكَريمِ من دِلالات خِطَابيَّةٍ؛ فالإيجازُ ليسَ مُجرَّدَ أُسلوبٍ خِطابيٍّ فَحسبُ، بَل يَتعدَّى ذَلك لِيؤدِّيَ أَغْراضًا بَلاغيَّةً وفنِّيَّةً عَديدةً عَبْرَ نَسَقٍ لُغَويٍّ ذِي قِيْمَةٍ فَنِّيَّةً وجَماليَّةٍ، يُحوِّلُ الخِطابَ والتَّراكِيبَ اللُّغويَّةَ إلى لَوْحَةٍ فَنِّيَّةٍ فَائِقةِ الجَمالِ.

وقدْ شَغلَ أُسلوبُ الإِيجازِ في النَّظْمِ القُرآنِيِّ فِكرَ البَاحِثينَ والدَّارِسينَ قَديمًا وحَديثًا، فدرسُوه دِراسةً واسِعةً ومَحَّصُوهَا تَمْحيصًا، وقد أَخذَ مَكانَتَهُ في جُلِّ كُتبِ البَلاغَةِ والدِّراسَاتِ القُرآنيَّةِ، ونذكرُ مِنَ الدِّراسَاتِ السَّابِقَةِ الَّتي تَناولَت مَوْضُوعَ الإِيجازِ:

- الإِعجازُ والإِيجازُ لأبي مَنصورٍ الثَّعالبيِّ.
- الإِيجازُ في كلامِ العَربِ ونصُّ الإِعجازِ – دراسةٌ بلاغيَّةٌ – د. مُختار عَطيَّة.
- أُسلُوبُ الحَذْفِ في القُرآنِ الكَريمِ وأَثَرِهِ في المَعاني والإِعْجَازِ، د. مُصطَفَى شَاهِر خَلُّوف.
- موسوعةُ أَساليبِ الإِيجازِ في القُرآنِ الكِريمِ – دِراسةٌ وَوصْفٌ وتَقويمٌ وأَمثلةٌ – د. أَحمد حَمد مُحْسِن الجَبُّوريّ.
- من رَوائِعِ الإِيجازِ والبَديعِ في القُرآنِ الكَريمِ، د. أَشْرَف حَسن الدِّبسيّ.

بالإضَافةِ إلى كمٍّ وَفيرٍ مَبثوثٍ في كُتبِ البَلاغةِ العَربيَّةِ وعُلومِ القُرآنِ، مِثْل دَلائِلِ الإعجازِ للجُرجَانيِّ، وثَلاثُ رَسَائِلَ في إعجازِ القُرآنِ للرُّمانيِّ والخَطَّابيِّ والجُرجانيِّ، والإتقانُ في علومِ القُرآنِ للسِّيوطيِّ، وغيرُها كثيرٌ.

إلَّا أنَّنا نَتطلَّعُ في هذا البحثِ إلى رَبطِ أُسلوبِ الإيجازِ معَ الدِّراسات الأُسلُوبيَّةِ الحَديثةِ الَّتي اسْتَجدَّتْ في هذا العَصرِ، وإجراءِ مُقارِبةٍ أُسلُوبيَّةٍ على أَساليبِ الإيجازِ في الخِطابِ القُرآنيِّ مِنْ مَنظُورِ عِلمِ الدِّلالَةِ.

تَعريفٌ بالمُصْطَلحَاتِ

الدِّلالة

الدِّلالةُ لُغةً: جَاءَ في مَقاييسِ اللُّغةِ لابنِ فَارسٍ: " الدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ، وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ، وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ"[1].

ويقول ابنُ مَنظورٍ في لِسانِ العَربِ: "ودلَّه عَلى الشَّيءِ يدُلُّه دَلًّا ودَلالة فانْدلَّ: سدَّده إليه ... والدَّليلُ: ما يُستدلُّ به، والدَّليلُ الدَّالُّ، وقد دلَّهُ على الطَّريق يَدلُّه دَلالةً ودِلالةً ودُلولةً والفَتحُ أَعلى ..."[2].

وقد عرَّفَ الأصبهانيُّ الدِّلالةَ اصْطلاحًا فقالَ: "اِعلمْ أنَّ دلالةَ اللَّفظِ عِبارةٌ عن كَونِهِ بحيثُ إذا سُمِعَ أو تُخيِّلَ لاحظتِ النَّفسُ مَعناه"[3]. وَحدَّها الزَّركشيُّ بأنَّها: "كَونُ اللَّفظِ بحيثُ إذا أُطلقَ فَهِم منه المَعنى مَن كانَ عَالمًا بوضْعِهِ له"[4].

وفي العَصرِ الحَديث نجدُ أحمدَ مُختار عُمَر قدْ عرَّفَ عِلمَ الدِّلالةِ بأنَّه: "العِلمُ الَّذي يَدرسُ المَعنى، أو دِراسةُ المَعنى"، وَهوَ عندِهُ "ذِلكَ الفَرعُ من عِلمِ اللُّغةِ الَّذي يَتَناوَلُ نَظَرِيَّةَ المَعَنَى"[5].

وبِناءً على ما تقدَّمَ فإنَّ عِلمَ الدَّلالةِ يُعنى بالمَعنى في المَقامِ الأوّل.

---

[1] . ابن فارس، *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، 1979م)، ج. 2، ص. 259.
[2] . ابن منظور، *لسان العرب*، (بيروت: دار صادر، 1414ه)، ج.11، ص. 249.
[3] . شمس الدين الأصبهاني، *بيان المختصر (شرح مختصر ابن الحاجب)*، تحقيق: على جمعة، (القاهرة: دار السلام، 2004م)، ج. 1، ص. 120.
[4] . بدر الدين الزركشي، *البحر المحيط في أصول الفقه*، تحقيق: لجنة من علماء الأزهر، (القاهرة: دار الكتبي، 2005م)، ج. 2، ص. 68.
[5] . د. أحمد مختار عمر، *علم الدلالة*، (القاهرة: عالم الكتب، 1998م)، ص. 11.

الخِطاب

الخِطابُ لُغةً: هو اسمٌ مُشتقٌّ من مَادَّةِ (خ ط ب)، وقد جَاء في لِسانِ العَربِ لابْنِ مَنْظورٍ: "الخِطابُ هو مُراجَعةُ الكلامِ، وقد خَاطبَه بالكلامِ مُخاطبةً وخِطابًا، وهُما يَتخاطَبانِ"، "والمُخاطَبةُ صِيغةُ مُبالغةٍ تُفيدُ الاشتِراكَ والمُشاركةَ في فِعلٍ ذِي شَأنٍ"[6].

الخِطَابُ اصْطِلاحًا: الخِطابُ في اصْطلاحِ عُلماءِ اللُّغةِ والفِقْهِ هو تَوجيهُ الكَلامِ إلى مُتلقٍّ حَاضرٍ، فَأصْلُ الخِطابِ أن يَكونَ لِمُخاطَبٍ مُعيّنٍ، سَواء أكانَ واحدًا أو أكثرَ. وقدْ عرَّفَ الآمديُّ الخِطابَ بأنَّه: "اللَّفظُ المُتواضَعُ عَليهِ، المَقْصودُ به إفْهامَ مَن هو مُتهيِّئٌ لِفَهْمِهِ"[7].

الإيجازُ

الإيجازُ لُغةً: هو الاخْتِصَار والتَّقليلُ كما يَرى ذَلكَ الجَاحِظُ في قَولِهِ: "ولو أنَّ قَائلاً قالَ لبعضِنا: ما الإيجازُ؟ لظننْتُ أنَّه يَقولُ: الاختصارُ"[8]. والعَربُ تَقولُ: "وَجُزَ الكلامُ وَجازَةً ووَجْزًا وأَوْجَزَ: قَلَّ في بلاغةٍ، وأَوْجَزَه: اختصرَهُ"[9]، "أوجزْتُ في الأَمرِ: كاختصرتُ. وأمرٌ وَجِيزٌ: مُخْتَصَرٌ، وكلامٌ وَجِيزٌ"[10].

وهو الخفيفُ من اللَّفظِ والكلامِ كما أَوْرَدَ ابنُ مَنظورٍ في لسانِ العَربِ: "وكلامٌ وَجْزٌ: خَفيفٌ"[11]. وكمَا ذكرَ صاحِبُ القَاموسِ المُحيطِ: "الوَجْزُ :السَّريعُ الحَرَكَةِ، وهي :بهاءٍ، والسَّريعُ العَطاءِ، والخَفيفُ من الكلامِ والأمرِ"[12].

ويُقال: "أَوْجَزْتُ الكلامَ: قَصَرْتُه. . . ورَجُلٌ مِيْجازٌ: يُوجِزُ في الكلامِ والجَوابِ"[13]. ويُقال: "وأوْجَزَ الكلامُ: قَلَّ، وكلامَهُ: قَلَّلَهُ"[14].

---

[6] . ابن منظور، *لسان العرب*، ج.1، ص. 361.
[7] . أبو الحسن الآمدي، *الإحكام في أصول الأحكام*، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، (بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت)، ج. 1، ص. 95.
[8] . أبو عثمان الجاحظ، *الحيوان*، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ)، ج. 1، ص. 62.
[9] . ابن منظور، *لسان العرب*، ج.5، ص. 427.
[10] . الخليل بن أحمد الفراهيدي، *كتاب العين*، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ج. 6، ص. 166.
[11] . ابن منظور، *لسان العرب*، ج.5، ص. 427.
[12] . الفيروزآبادي، *القاموس المحيط*، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426 هـ / 2005 م)، ج. 1، ص. 528.
[13] . ابن منظور، *لسان العرب*، ج. 5، ص. 427.
[14] . الفيروزآبادي، *القاموس المحيط*، ج. 5، ص. 528.

الإيجازُ اصطِلاحًا: الإيجازُ -بِحَسبِ تَعريفِ عُلماءِ البَلاغَةِ لَهُ- هو أنْ تَكُونَ الألفاظُ أقلَّ مِنَ المَعنى الَّذي يُرادُ التَّعبيرُ عَنْهُ. وهم وإِنْ اِخْتلفُوا في تَعريفِ الإيجازِ إلَّا أَنَّ ما قَالُوه لا يخرجُ عن هذا المَعنى. فالإيجازُ قَصدُ اللَّفظِ معَ وَفَاءِ المَعنَى، أَو اِسْتثمارِ أَقَلِّ قَدْرٍ مَن الأَلْفاظِ في أَكْبَرِ قَدْرٍ منَ المَعْنَى.

يقولُ أبو هِلالٍ العَسكريُّ: "الإيجازُ: قُصورُ البلاغةِ على الحَقيقةِ، وما تَجاوزَ مِقدارَ الحَاجةِ فهو فَضْلٌ دَاخِلٌ في بابِ الهَذْرِ والخَطْلِ، وهُما من أَعظمِ أَدواءِ الكلامِ، وفيهما دَلالةٌ على بَلادَةِ صَاحبِ الصِّناعَةِ"[15].

أمّا الشَّريفُ الجُرجَانيُّ في كِتابِهِ التَّعريفاتِ يقولُ: "الإيجازُ: أداءُ المَقصودِ بأقلَّ مِنَ العِبارةِ المَتعارَفَةِ"[16]. والسَّكاكيُّ يُعرِّفُ الإيجازَ بأنَّهُ: "أداءُ المَقصودِ منَ الكلامِ بأقلِّ من عِباراتِ مُتعارَفِ الأَوْساطِ"[17].

1. الحذف والإضمار

يُعتبَرُ الحذفُ مَظهرًا من مَظاهِرِ القُدْرةِ اللُّغويَّةِ عندَ المُتكلِّمِ، وهو دَليلٌ على كَفَاءتِه الخِطابيَّةِ، ومِنْ أجلِ إتمامِ عَمليَّةِ التَّواصلِ يُفترَضُ أن يكونَ المُخاطَبُ متنبِّهًا؛ لأنَّ المُتكلِّمَ يَعْمَدُ إلى إضمَار جُزءٍ أو أكثرَ منَ الكلامِ، وحذْفِ كثيرٍ من الألفاظِ؛ لِيجعلَ المَعنَى أكثرَ تَأثيرًا، وبذلِكَ يَتوجَّبُ على المُخاطَبِ أنْ يكونَ قادرًا على اسْتحضارِ الكلامِ المُضْمَرِ وتَقْديرِ المَحْذوفِ، مُعْتَمِدًا في ذَلكَ عَلى جُمْلَةٍ من الاستِدلالاتِ والفَرضِيّاتِ المُرافِقَةِ لِعَمَلِيَّةِ التَّواصُلِ، فهي ستُساعدُهُ على تَأويلِ وتَقديرِ الكَلِماتِ أوِ الجُملِ المُناسبةِ للخِطابِ ومَقاصِدِهِ.

وبذلكَ نُلاحظ أنّ الحذفَ هو أحدُ وسائلِ الإيجازِ في الخِطابِ والكلامِ، فهو يُؤدِّي إلى دلالاتٍ واسِعةٍ لا يمكنُ أنْ تُؤدَّى بالذِّكرِ والإطنابِ. وفي ذلكَ يقولُ عبدُ القاهرِ الجُرجانيُّ: "... فإنَّكَ تَرى به تَرْكَ الذِّكْرِ، أَفْصَحَ من الذِّكْرِ، والصَّمتَ عنِ الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادةِ، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تُبِنْ"[18].

---

[15] . أبو هلال العسكري، *الصناعتين*، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العنصرية، 1419 هـ)، ص. 173.

[16] . علي بن محمد الشريف الجرجاني، *التعريفات*، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية 1403هـ /1983م)، ص. 41.

[17] . أبو يعقوب السكاكي، *مفتاح العلوم*، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ / 1987 م)، ج. 1، ص. 277.

[18] . عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، (القاهرة: مكتبة الخانجي. د.ت)، ص. 146.

وقدْ لاحظَ الجرجانيُّ دورَ الحذفِ والإضمارِ وأهميَّتَهُ في نَظْمِ الكَلامِ، فالعَمليَّةُ التَّواصليَّةُ من خِلالِ الخِطابِ لا تَقومُ على الكَلَامِ الظَّاهِرِ فَحسبُ، وإنَّما تكونُ من خلالِ الحذفِ والإضمارِ من الكَلامِ، فهو يَرى أنَّ الصَّمتَ يكونُ وسيلةً من وسائلِ التَّواصُلِ، وهذا ما يَتحقَّقُ بينَ المُخاطِبِ والمُخاطَب بوجهٍ بلاغيٍّ.

تلكَ الأسرارُ والمَزايا الَّتي يَتضمَّنُها الحذْفُ جعلَتِ المُتخاطِبينَ يميلونَ إلى الخِطابِ المُختزَلِ، الَّذي يؤدِّي دلالاتٍ لا تَستطيعُ الألفاظُ المَذكورةُ أنْ تُؤدِّيها، فَهُمْ يَعْمَدُونَ إلى حذْفِ العَناصِرِ المُتكرِّرةِ في الخِطابِ، وإضْمارِ ما يُمكنُ أنْ يَفهَمَهُ المُخاطَب اعْتِمادًا على القَرائِنِ المُرافِقةِ لِحالِهِ؛ فتكونُ تلكَ القَرائنُ دليلًا له لتتبُّعِ المَعنى المَقصودِ منَ الخِطابِ.

2. الإيجازُ في القُرآنِ الكَريمِ

الإيجازُ هو الحذْفُ، وهو الإشارةُ أيضًا، "أَوْجَزَ في كَلامِهِ، إذا قَصَرَهُ، وكَلامٌ وَجيْزٌ، أَيْ: قَصِيْرٌ"[19].

وهو في اصْطلاحِ عُلماءِ البَلاغَةِ: انْدِراجُ المَعاني المُتَكاثِرةُ تَحتَ اللَّفظِ القليلِ، ومثالُه في القُرآنِ الكَريمِ قولُه تَعَالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَر﴾[20]. فهاتانِ الكَلمتَانِ جَمَعَتَا مَعاني الرِّسَالةِ كلِّها، واشْتَمَلتا عَلى كُلِّياتِ النُّبُوَّةِ، وأَجْزائِها[21]. فالآيةُ تَنطوي على كثيرٍ منَ المَعاني، فهيَ خِطابٌ إلى مُحمَّدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بوجوبِ التَّصْريحِ بجميعِ ما أُوحِيَ إليهِ، ووجوبِ تَبليغِ كلِّ ما أُمِرَ بِبَيانِه، وإنْ كانَ في ذلكَ مَشقَّةٌ على بعضِ القُلوبِ تُؤدِّي إلى انْصِداعِها، فتكونَ كالزُّجاجةِ الَّتي انْصَدَعَتْ فظَهَرَ ذلكَ على ظَاهِرِها كَما يَظْهَرُ أَثَرُ التَّصْريحِ والتَّبليغِ على ظَاهِرِ الوُجُوهِ مِنْ عَلاماتِ الإنكارِ والاِسْتِبْشَارِ.

ويَعتبرُ البَلاغيُّونَ فنَّ الإيْجازِ أحدَ أَعظمِ أَنواعِ البلاغةِ، فهوَ دَليلٌ على مَدى تَمكُّنِ صَاحِبِهِ مِن نَاصِيةِ البَلاغةِ وفُنُونِها. ودَليلُ ذلكَ ما انتشرَ منهُ في آياتِ القُرآنِ الكَريمِ؛ فكانَ نِبراسًا لكلِّ كاتبٍ أو خطيبٍ لا يستطيعُ التَّقدُّم من دونِهِ، وقد وَصَفُوه بقولِهم: "الإيجازُ قُصورُ البلاغةِ على

[19] . أحمد مصطفى المراغي، *علوم البلاغة*، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م)، ص. 182.
[20] . سورة الحجر: 94.
[21] . يحيى بن حمزة العلويّ، *الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*، (بيروت: المكتبة العصرية، 1423هـ)، ج. 2، ص. 49.

الحَقيقةِ"[22]. أيْ رَدُّها إلى الحَقيقةِ، فالإيجازُ يُعدُّ مِعيارًا أَسَاسِيًّا في تَمييزِ كفاءةِ المُخاطِبِ البلاغيَّةِ من التَّعبيرِ عَن حقيقةِ المُرادِ من خِطابِهِ بالألفاظِ القَليلةِ.

لِذا نُلاحظُ أنَّ أنواعَ أُسلوبِ الإيجازِ وأَنماطَه في الخِطابِ القُرآنيِّ تَتعدَّدُ وتَخْتَلِفُ، فـ" قد يُحذَفُ في التَّعبيرِ القُرآنيِّ لفظٌ أو أكثرُ، حَسْبَما يَقتَضيهُ السِّياقُ، فقد يَحذِفُ حَرفًا أو يذكرُه، أو يَجتزئُ بالحركةِ للدِّلالةِ على المَحذوفِ، كلُّ ذلكَ لغرضٍ بلاغيٍّ تلحظُ فيه غايةَ الفَنِّ والجَمالِ "[23].

ويَنقسِمُ الإيجازُ إلى قِسْمينِ، إِيْجازِ قِصَرٍ، وَإِيْجازِ حَذْفٍ.

1.2. إيجازُ القِصَر

هوَ الكلامُ الوَجيزُ بألفاظِهِ، الكثيرُ بِمَعانيهِ، وهوَ تَكْثيرُ المَعنى بِتَقْليلِ الألفاظِ كمَا يَرى الرُّمانيُّ في كتابِهِ النُّكتِ في إعجازِ القُرآنِ[24]. ويظهرُ إيجازُ القِصَر في آياتِ القرْآنِ الكَريمِ في أَجْمَلِ صُوَرِهِ، وَمِنْ ذَلكَ قَوْلُهُ تَعَالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ)[25]. فَفِي قولِهِ سُبحانَه: (وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا)، و (وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا)، جاءَ إيجازُ القِصر في كلمةِ (إِحْسَانًا) وكلمةِ (حُسْنًا)؛ لأنَّ مادَّة الإحسَانِ هوَ (الحُسْنُ)، والإِحْسَانُ يَجْمَعُ بينَ القَولِ والعَمَلِ وَالطَّاعَةِ والرِّضَى، وكُلُّ ذَلكِ جَاءَ باسْتخدامِ لَفظةٍ وَاحِدَةٍ دَالَّةٍ على معانٍ غَزيرةٍ ودلالاتٍ كثيرةٍ. وهذا يُوضِّحُ الدِّلالاتِ الخِطابيَّةَ الَّتي يَتركُها الإيجازُ في الخِطابِ، فالمُخاطَبُ على عِلْمٍ مُسْبَقٍ بالدِّلالاتِ الَّتي تَتعلَّقُ بكلمةِ (إِحْسَانًا) والَّتي تَشْملُ كَثيرًا مِنَ الأخْلاقِ والسُّلوكيَّاتِ المُتَعَارَفِ عليها، فجاءَ الاِسْتخدامُ منَ المُخاطِبِ إيجازًا بديعًا.

ومنْ أَبْهى صُورِ إيجازِ القِصَر في القُرآنِ الكَريمِ، قولُه تَعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[26]. ففي قولِهِ تباركَ وتَعَالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ) من الإيجازِ ما لا يُنكَرُ كما

[22] . أبو هلال العسكري، *الصناعتين*، ص. 173.
[23] . فاضل السامرائي، *التعبير القرآني، دراسات بيانية في الأسلوب القرآني*. (الأردن-عمان: دار عمار، 2006م)، ص. 72.
[24] . علي بن عيسى الرماني، *النكت في إعجاز القرآن*، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، (مصر: دار المعارف، 1986م)، ص. 76.
[25] . سورة البقرة: 83.
[26] . سورة البقرة: 133.

يَرى الزَّمخشريُّ[27]؛ ففيها الجمعُ بينَ الإنكارِ والتَّعليمِ، إنكارِ التَّقوُّل على مَن لم يَشهدُوه، وتَعليمُهُم ما جَهِلُوه، ومن أجلِ التَّنبيهِ على هذا الجَمعِ البَديعِ أُعِيْدَتْ كَلمةُ (إذ)، في قولِهِ: (إذْ قَالَ لِبَنيهَ)؛ لِيكونَ كالبَدَلِ مِنْ: (إذْ حَضَرَ يعقوبَ المَوتُ) فيكونُ مَقصودًا بالحُكمِ أيضًا. هذا الإيجازُ الَّذي جَاءَ على طَريق القِصَر يَستدعي اِنتباهَ المُخاطَبِ، ويَشدُّهُ إلى الخِطابِ ليتمكَّنَ من اسْتِشْرَافِ المَضْمونِ الدِّلاليِّ المَحذوفِ من الخِطابِ؛ إذْ لا بدَّ من تَقديرِه كي تَتحقَّقَ الفَائِدةُ منْ هذا الخِطابِ. فمَقاصِدُ الإيجازِ بالقِصَرِ تَكْمُنُ في التَّعبيرِ عن المَعنى الكَثيرِ باللَّفظِ القَليلِ، حَيثُ يَنتَقِلُ المُخاطَب إلى بناءِ المَقاصِدِ الدِّلاليَّةِ بناءً على مُعطياتِ الخِطابِ وسِياقِهِ؛ فَالسِّياقُ يُساهِمُ في تَحديدِ مَضامينِ الخِطابِ واسْتحضارِ المَحذوفِ مِنَ الكَلامِ.

2.2. الإيجازُ بالحَذْفِ

يُؤتَى بالخطابِ مَحذوفَ الألفاظِ أو أجزاءَ الجملِ لأسبابٍ عَديدةٍ، من تلكَ الأسبابِ لمُجرَّدِ الاحْترازِ عن العَبثِ والاخْتِصارِ؛ كَونَهُ معلومًا في عَمليَّةِ التَّواصُل، وأحيانًا يكونُ الحَذفُ لأنَّ الزَّمانَ يَتَقاصَرُ عن ذكرِ المَحذوفِ، والانْصِرافِ إلى ذِكْرِ المَحذوفِ رُبَّما يُؤدِّي إلى فَواتِ المُهمِّ، وهذا يَظهرُ في بابِ الإغراءِ والتَّحذيرِ. وفي أَحايينَ أُخرى يَكُون الحَذفُ للتَّعظِيمِ والتَّفْخِيمِ؛ لِما يَحْمل من الإبهامِ، ولذلك قِيلَ إنَّه يَحْسُنُ الحذفُ لقوّةِ الدِّلالةِ عليه، وهذا يَتجلَّى في المَواضِعِ الَّتي يُرادُ بها التَّهويلُ والتَّعجُّبُ. ومن أسبابِ الحذفِ أيضًا الحذفُ للتَّخْفيفِ، فحذفُ حَرفِ النِّداءِ لكثرةِ دَوَرَانِهِ في الكَلامِ، ومنها أيضًا صِيانةُ اللِّسانِ عن ذِكْرِهِ تَشْريفًا أو تَحقيرًا، وغيرُ ذلك مِنَ الأَسْبَابِ[28].

وقد حَدَّدَ البَلاغيُّونَ شُروطًا للحذفِ، أوَّلها: وُجُودُ الدَّليلِ، وهو إمّا دَليلٌ حَاليٌّ، كقولِهِ تَعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾[29]، أي: سَلَّمْنَا سَلَامًا. أو دَليلٌ مَقاليٌّ، وكذلك الدَّليلُ العَقليُّ، إذا استحالَتْ صِحَّةُ الكلامِ عَقلًا إلّا بتقديرِ المحذوفِ منه. وثانيها: ألَّا يكونَ المحذوفُ رُكنًا، لِذلكَ لم يُحذفِ الفَاعِلُ أو نَائِبُهُ. وثالثُها: ألّا يكونَ مؤكّدًا؛ لأنَّ الحذفَ منافٍ للتَّأكيدِ، فالحذفُ اختصارٌ والتَّأكيدُ تَطويلٌ. ورابعُها: ألّا يؤدِّيَ حذفُه إلى اختصارِ المُختَصَرِ، وعليه لم يُحذفْ اسمُ الفِعلِ. وخَامسُها: ألّا يكونَ عَامِلًا ضَعيفًا،

[27] . محمد الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، ج. 1، ص. 731.
[28] . جلال الدين السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: أحمد بن علي، (القاهرة: دار الحديث، د.ت)، ج. 3، ص. 145-147.
[29] . سورة هود: 69.

فلا يُحذَفُ الجارُّ للاسمِ، والنّاصِبُ للفعلِ وجَازمُه؛ إلَّا في بعضِ المَواضعِ الَّتي قَويتْ فيه الدِّلالةُ، وكَثُرَ استعمالُ العامِلِ فيها. وسادسُها: ألّا يكونَ المحذوفُ عِوضًا عن شيء؛ لذلكَ لم تُحذفْ التَّاء من إقامةٍ واستقامةٍ. وسابعُها: ألّا يؤدِّيَ حذفُه إلى تهيئةِ العاملِ القَويِّ[30].

تظهر فوائدُ الحذفِ على مُستوياتٍ عديدةٍ، فعلى صَعيد المُستوى الخَطابيِّ تكونُ فائدتُه زيادةَ لَذَّةٍ في الخِطابِ؛ وذلك بسببِ اسْتنباطِ الذِّهنِ للمحذوفِ، فكُلَّما كانَ الوصولُ إلى المحذوفِ أعسرَ كانَ الالتِذاذُ به أشدَّ وأكثرَ، وبذلكَ يكونُ الخِطابُ أحسنَ وأبلغَ.

وفي المُستوى البَلاغيِّ يُعتبرُ الحذفُ إحدى صورِ الإيجازِ والاقْتصادِ اللُّغويِّ الَّذي يُؤدِّي إلى فَهْمِ المَعاني ما لا يستطيعُ الذِّكْرُ تَأدِيَتَهُ. وهذا ما يُؤكِّدُه عبدُ القاهرِ الجُرجانيُّ، بقولِهِ: " الحذفُ بابٌ دَقيقُ المَسْلكِ، لَطيفُ المَأْخَذِ، عَجيبُ الأَمرِ، شَبيهٌ بالسِّحْرِ، فإنَّكَ تَرى به تَرْكَ الذِّكْرِ أَفْصَحَ من الذِّكْرِ، والصَّمتَ عن الإفادَةِ أَزْيَدَ للإفادَةِ، وتَجِدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تُبِنْ"[31].

3. صُورُ الإيجازِ بالحَذْفِ في القُرآنِ الكَريمِ

تَرتَبِطُ أَسْبَابُ الحذْفِ ودلالاتُه الخِطابيّة بِعناصرِ التَّواصل الثَّلاثةِ: المخاطِب، المخاطَب، الخِطاب.

1.3. الدّلالاتُ الخِطابيَّةُ للحذفِ المُتعلّقة بالمخاطِبِ

تُعدُّ ظاهرةُ الإيجازِ أُسلوبًا فنِّيًّا يُنجِزُهُ المخاطِبُ أثناءَ إنتاجِهِ للخِطابِ الَّذي يحملُ دلالاتٍ متنوِّعةً، فنرى صِيانةَ اللِّسانِ عن ذِكْرِ المحذوفِ من أهمِّ أسبابِ الحذفِ الَّتي تَتعلَّق بالمُخاطِبِ، فها هوَ مُوسى عليه السَّلامُ يَستَعظِمُ حالَ فِرعونَ وتَجرُؤَهُ على السُّؤالِ؛ فيحذفُ لفظَ (هو) العَائدِ على اللهِ تَعالى، في ثَلاثةِ مَواضِعَ تَفخِيمًا وتَهيُّبًا، ويَقْتَصِرُ على الاسْتدلالِ بأَفْعالِهِ الخَاصَّةِ ليزرعَ في نَفسِ فِرعونَ أنَّه ليسَ كَمثْلِهِ شَيء، وذلكَ في قَولِهِ تَعَالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ

[30] . السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ج. 3، ص. 148-152.
[31] . الجرجاني، *دلائل لإعجاز*، ص. 146.

تَعْقِلُونَ﴾[32]. حيثُ حذفَ المبتدأَ (هو) قبلَ ذِكْرِ كلمةِ (ربُّ السَّماواتِ) و (ربُّكم) و (ربُّ المَشرق)، فجاء الحذفُ في هذه الآياتِ صِيانةً للهِ تَعالى وتَشريفًا. وكذلكَ فإنَّ تِكرارَ الحذفِ ثلاثَ مرَّاتٍ، والمُقدَّر بلفظِ الجَلالَةِ، وهو المُسندُ إليهِ؛ يَجعلُ المُخاطَبَ بعدَ تقديرِ المَحذوفِ مُلتزمًا بالتَّفكُّر والتَّدبُّر في نفسِه، ويؤكِّدُ ذلكَ قولُه تعالى: (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ). حيثُ يطلبُ مِنَ المُخاطَبِ إنجازًا تَوجيهيًّا، وهو التَّدبُّر في هذا الخالقِ وعَظَمَتِهِ، والقَصْدُ منَ الحذفِ في هذهِ الآياتِ يعودُ على المخاطِب؛ لأنَّه عَمِدَ إلى حَذفِ بعضِ مُكوِّناتِ الخِطابِ الأَساسيَّةِ؛ لِيترُكَ أَثرًا دلاليًا عَميقًا في نَفسِ المُخاطَب، ويُشْرِكَهُ في الخِطابِ ودلالاتِه؛ فيظهرَ بذلكَ الأثرُ الدّلاليُّ والجَماليُّ لأُسلُوبِ الإيجازِ في الخِطابِ.

وكَذلكَ إذَا تأمَّلْنا في قولِهِ تَعَالى: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[33]، وجدْنا أنَّ حذفَ الفَاعلِ من هذا التَّركيبِ، وإحْلالِ المفعولِ به مَحلَّه، إيجازٌ بلاغيٌّ عَالٍ، تَكْمُنُ دلالتُه هنا في تَعظيمِ الفَاعلِ، وهو اللهُ عزَّ وجلَّ، من قِبَلِ المُخاطِب.

2.3. الدّلالاتُ الخِطابيَّةُ للحذفِ المُتعلّقةُ بالمُخاطَب

ربطَ علماءُ القرآنِ الكريمِ الدِّلالاتِ الخِطابيّةَ للحذفِ في القُرآنِ بالمُخاطَب، فالزَّركشيُّ يَذكُرُ أنَّ الحذفَ يحقِّقُ تَعظيمَ المحذوفِ وتَفْخيمَه في نفسِ المُخاطَب؛ لأنَّ الإبهامَ يجعلُ الذِّهن يذهبُ فيه كلَّ مَذْهَبٍ، ويُشوِّقُه إلى المُرادِ مِنَ الخِطابِ، وعندما يُدركُ أنَّه قاصِرٌ عن حَصرِ المَعنى يَعْظُمُ هذا المحذوفُ في نفسِه وتَعلُو مُكانَتُه34، وكذلكَ يَشعرُ المُخاطَب بزيادةِ لَذَّةٍ؛ لأنَّه يَستَحْضِرُ ذهنَه لاسْتِنْباطِ المحذوفِ، فعندما يكونُ الشُّعورُ بالمحذوفِ أعسرَ، يكونُ الالتذاذُ به أشدَّ وأحسنَ، ولأنَّه أيضًا يُساهِمُ في بِناءِ المَعَنى الكُلِّيِّ للخِطابِ مُعْتَمِدًا على السِّياقِ، ويكونُ بذلكَ طَرفًا في عَمليَّةِ التَّواصُلِ، مُشارِكًا في الإبداعِ الدّلاليِّ؛ فهو يَمتَلِكُ حُريَّةً واسعةً في التَّفكُّرِ والتَّقديرِ والتَّأويلِ.

وأَضافَ عُلماءُ القرآنِ فائدةَ زيادةِ الأَجْرِ للمُخاطَبِ، لما يَبذُلُه من جُهدٍ في الاجْتِهادِ من أَجْلِ تقديرِ المحذوفِ.

---

[32] . الشعراء: 28.

[33] . يوسف: 41.

[34] . بدر الدين محمد الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957م). ج. 3، ص. 104.

وقدْ يَلجأُ المُخاطِبُ إلى الحذفِ دَفعًا لِلملَلِ والسَّأم، ولأَجلِ شَدِّ انْتباهِ المُخاطَبِ، وهذا ما أكَّدَه السُّيوطيُّ نقلًا عن حازمٍ القُرطاجنِّيّ في كتابِ مِنْهاجِ البُلغاءِ وسِراجِ الأُدباءِ[35]، بقولِهِ: "إنَّما يَحسُنُ الحذفُ لقوَّةِ الدِّلالةِ عَليه، أو يَقصدُ به تَعديلَ أَشيَاء، فيكونُ في تِعدَادها طُولٌ وسَآمةٌ، فيُحذَفُ ويُكتفَى بدلالةِ الحَال، وتُتركُ النَّفسُ تجولُ في الأشْياءِ المُكتَفى بالحالِ عن ذِكْرِهَا"[36]. وبِناءً عَلى ذَلك يُؤثَرُ في الخِطاباتِ الَّتي يُرادُ بها التَّهويلُ على النُّفوسِ والتَّعجُّبُ هذا النّمطَ منَ الخِطابِ المُوجَزِ؛ حيثُ يكونُ للمُخاطَبِ دَورٌ فَاعِلٌ في بِناءِ مَقاصِدِ الخِطابِ، وفَهْمِ دِلالاته، منْ خِلالِ إشاراتٍ يَهتدي إليها اعْتِمادًا عَلى حِسِّهِ المُرْهَفِ ومَقْدِرَتِهِ اللُّغويَّةِ، فتَتحوَّل نَفْسُه إلى مَيدانٍ لَعَرْضِ ما أُضمِرَ في نَفْسِ المُخَاطِب، ومَا أَوْمَأ إليه بإبْدَاعِهِ.

ويَظهَرُ ذلك في قولِه تَعالى: "وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا"[37]، فقدْ حُذِفَ جوابُ الشَّرطِ؛ لأنَّ وصفَ ما سيُلاقُونه ويَجدُونَهُ عندَ وُصولِهم لا يَتَناهَى وَصْفُهُ، فجاءَ الحذفُ دَليلًا على ضِيق المَقامِ، وقُصورِ القَول عن وَصْفِ ما سيُشاهِدونَهُ، وبذلكَ تُرِكَ للنفوسِ المُخاطَبةِ تَأويلُ وتَقديرُ ما تَشَاء، وهنا على المُخاطَب ألَّا يُهْمِلَ الإشاراتِ المَقَاصِدِيَّة الَّتي حَمَلَها الخِطَابُ؛ لأنَّ ذلكَ يُؤدِّي إلى تَشْويه دلالاته الفَنِّيَّة والجَماليَّة، ومعَ ذلك فنفسُ المُخاطَب لنْ تبلغ حقيقة ذلك المشهد ولن تدرك كنهه تمام الإدراك. وفي ذلك كلّه زيادة لذّة؛ لأنّ التّقدير غير محدود، فهو ممتدّ أمام المخاطَب ليسبح في تخيّل الحال ويحاول تصوّره.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[38]، حُذف المفعول به في هذه الآية، والتقدير: الشيطان يخوّفُ الناسَ أولياءَه، أي يخوّفُ الناسَ من أتباعه الطّغاة، والدّليل قوله تعالى: (فلا تخافوهم)، أي لا تهابوهم، وفي تفسير الطبري: "الشّيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم، يخوّفكم بأوليائه من المشركين – أبي سفيان وأصحابه من قريش – لترهبوهم وتجبنوا عنهم"[39].

---

[35] . أبو الحسن حازم القرطاجني، *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م)، ص. 391.

[36] . السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ج. 3، ص. 145-146.

[37] . سورة الزمر: 73.

[38] . سورة آل عمران: 175.

[39] . أبو جعفر الطبري، *جامع البيان عن تأويل القرآن*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994م)، ج. 7، ص. 416.

وهكذا نجد أنّ جمالية الإيجاز تكمن في الحذف الذي تتجلّى القيمة الفنية للحذف من خلال مقارنتها بالذكر الذي يجمّد الدلالات، ويميت الوظائف الفنّية والجمالية للأسلوب، وهذا الحذف لا بدّ أن يقابله مخاطَب متميّز باستشراف القيم الجمالية بالتدبر والتأمّل، وعليه أن يحسن تذوّق الخطاب ليستخلص سحره وجماله الفني، إذ يجب أن يكون قادرًا على تقمّص دور المخاطِب لاستحضار المحذوف من الخطاب، إيمانًا منه أنّ الدلالات الخطابية المتكاملة تقوم على الجمع بين الذكر والحذف، وبذلك يكون له دور فعّال في صياغة الخطاب وإظهار دلالاته.

3.3. الدّلالات الخطابيّة للحذف المتعلّقة بالخطاب

يُلاحَظ في دراسة أسباب الحذف وفوائده أنّ علماء القرآن والبلاغة أرجعوا تلك الأسباب والفوائد إلى ذات الخطاب؛ إذ إنّ الغرض من الحذف هو سبك الخطاب وجعله متماسكًا؛ ليؤدّي المراد بدقّة متناهية، وهذا يوضّح أهميّة الحذف وجماليّته في الخطاب، فعندما تظهر العناصر المحذوفة يزول الجمال ويختفي الرونق والبهاء من الخطاب.

ففي قوله تعالى: "ناقةَ اللهِ وسقياها"[40]، لاحظ علماء القرآن أنّ الزّمن يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف؛ فالغرض من الحذف هو دفعهم إلى الانشغال بأوامر الله في ناقتهم التي كانت طلبًا منهم لتكون آية لهم، وبذلك يكون الانشغال بذكر المحذوف مفضيًا إلى تفويت المهمّ، فجاء الأسلوب عن طريق التحذير والإغراء، فـ(ناقةَ الله) تحذير، بتقدير: ذَروا، و(سقياها) إغراء بتقدير: اِلزموا.

وكذلك لاحظوا أنّ الحذف يفيد في تكثيف الدّلالات الخطابيّة للخطاب، ومثاله قوله عزّ وجلّ: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار...﴾[41]، لا يخفى على أحد ما أخفاه حذف الجواب من ترهيب ووعيد فيما يكون حال جهنّم عندما يُوقَفوا عليها، فتقدير الجواب: لرأيت شيئًا فظيعًا، وهنا يكمن تكثيف دلالة الخطاب، فالمقاصد الدّلاليّة من الحذف هي امتداد التّقدير، وترك النفوس لتقدّر ما تشاء، وهذا متعلّق بالخطاب، ومن أغراضه هاهنا دفع الملل والسأم عن المخاطَب.

[40] . سورة الشمس: 13.
[41] . سورة الأنعام: 27.

وفي قوله تعالى: "يوسفُ أَعْرِضْ عَن هَذا"[42]، فقد حذف حرف النداء لأنّه عرفٌ لغويٌّ عند أهل اللّغة العربيّة، والهدف منه الاختصار والتّخفيف لكثرة ورود النّداء في الخطاب، وهذا الحذف يحيل إلى تقريب الصّلة بين المخاطِب والمخاطَب، أي بين الله تعالى وبين نبيّه يوسف عليه السلام.

وقد اشترط البلاغيّون في الإيجاز بالحذف ألّا يؤدّي إلى الغموض وتعمية المعنى، فأهميّة الحذف تظهر بما يثيره في المخاطَب ليجذب انتباهه، ويحضّه على إعمال فكره ليبحث عن المحذوف، اعتمادًا على ثقافته وأفكاره المرتبطة بموضوع الخطاب. فمثلًا الحذف من أجل رعاية الفاصلة هو حذف متعلّق بالخطاب، وذلك كقوله تعالى: ﴿ما ودّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[43]، إذ التّقدير اللّغويّ: وما قَلَاكَ، فقد حُذف ضمير الخطاب "الكاف"؛ لانسجام النصّ، لكنّ الانسجام ليس المقصد الأساسيّ من الحذف، فهناك الدّور البلاغيّ في تحقيق الاكتفاء بفهم المعنى من قبل المخاطِب – الله عزّ وجلّ – وهو عدم ربط الضمير العائد على محمد صلّى الله عليه وسلّم بالفعل "قلى" لما فيه من الجفاء والبعد، وهذا غير مراد من الخطاب.

وفي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[44]، حذف الخبر من (أكلها دائمٌ وظلّها)، والتّقدير: وظلّها دائمٌ، حيث تمّ حذف خبر المبتدأ (ظلّها)، للعلم به من جهة، ومنعًا للتّكرار وطلبًا للإيجاز من جهة ثانية.

من خلال العرض السّابق نجد أنّ الدّلالات الخطابيّة للحذف تؤكّد على مقدرة الخطاب على التّفاعل مع المتلقّي والاستمرار في طرح المضامين عن طريق مستويات متنوّعة من الخطاب، وبذلك يكون الخطاب قادرًا على استيعاب السّياق بأنواعه، والرّبط بين المعاني الفرعيّة والمعاني الأصليّة للخطاب، ويظهر تأثير الإيجاز في الدّلالات الخطابيّة لما له من قدرةٍ على التّعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الموجزة. وبالتّالي تحدث عمليّة إشراك المخاطَب في العمليّة التّواصليّة المرادة من الخطاب، فيكون عنصرًا مشاركًا في إنتاج التّفاعل والتّأثير بين المخاطِب والمخاطَب فيصبح الخطاب حيًّا ذا جمالية فنّية فريدة. ويتحوّل عندئذ الخطاب عن سياقه الإخباريّ إلى وظيفته التّأثيريّة والجماليّة.

---

[42] . سورة يوسف: 29.
[43] . سورة الضحى: 3.
[44] . سورة الرعد: 35.

إنّ اهتمام البلاغيين بأسلوب الإيجاز جعله ظاهرة لغويّة تساهم في رقيّ الخطاب إلى مستوى راقٍ، مبتعدًا عن مستويات الخطاب العادي بما يحمله من رموز دلاليّة وبما يمتاز به من حسن السّبك وقوّة تماسك تراكيبه، وبذلك يسهم في توسيع مجالات الخطاب من خلال التّفاعل بين المعاني الكليّة والمعاني الجزئيّة التي يقوم بها المخاطَب اعتمادًا على ذكائه اللّغويّ وفطنته البلاغيّة. ويستعرض الخطاب سحره الفنّي وتأثيره بما يحذف من مقاصد دلاليّة وبما يوحي به ويومئ إليه، فيصبح مدينًا بجماله وسحر أسلوبه إلى أنواع الإيجاز التي زخرفت تراكيبه وجمله؛ فالإيجاز وسيلة من وسائل اتّساع الخطاب؛ لأنه يقوم بدور فعال في تنبيه المخاطَب والإيحاء إلى المقاصد الحقيقية من الخطاب، وهو أيضًا يثير انتباهه ويحفزه على الدخول في أعماق التراكيب والعبارات، الأمر الذي يجعله يسبح مع الخطاب ويكشف عن الإشارات الدّلاليّة المكثّفة القابعة خلف الحذف، وعليه تكتمل متعة التّلقّي وجماليّة التّواصل.

الخاتمة

نستنتج من عرضنا المتقدّم أن أسلوب الإيجاز في القرآن الكريم يتضمّن دلالات خطابيّة متنوّعة، وهو ضرورة خطابيّة لها أهداف متنوّعة. والخطاب القرآنيّ أسلوب فريد في نظمه، فلكلّ نمط من أنماطه غرض فنّيّ أو مقصد دلاليّ أو ملمح جماليّ. وباعتبار الإيجاز ظاهرة أسلوبيّة لغويّة تزخر بالشّحنات الدّلاليّة الغزيرة لتنقل الخطاب من المستوى العاديّ إلى المستوى البلاغيّ العالي، تجلّت أهميّته العظيمة في الكشف عن المعاني وبناء الدّلالات الخطابيّة وفقًا لمفهوم الخطاب وعناصره، بالإضافة إلى ما يقوم به هذا الأسلوب من دور مهمّ في تحقيق انسجام النصّ واتّساقه؛ وبذلك يكون الإيجاز قادرًا على إيجاد تفاعل بين عناصر الخطاب في العملية التواصلية (المخاطِب – المخاطَب – الخطاب). كذلك للإيجاز دور بارز في الربط بين المعاني الأصليّة والمعاني الفرعيّة المنبثقة عنها، وهو ما يسمّى الوجه الحقيقي للاستعمال اللّغويّ أو الوجه غير الحقيقيّ؛ فالمخاطَب يستخرج المعاني الضمنيّة للدّلالات الخطابيّة من خلال تقدير المحذوف واستحضاره.

والإيجاز على هذا النّحو يسهم في إشراك المخاطَب في بناء الدّلالات وإنتاج الخطاب، ويكون ذلك عندما يقوم المخاطِب بترك فراغات أو فجوات يملؤها المخاطَب اعتمادًا على المصاحبات أو المعرفة السّابقة، وعندئذ تكتمل الدّلالات المرادة من الخطاب، ويصبح أسلوب الإيجاز ذا جماليّة في تكامله مع المخاطِب والمخاطَب والخطاب؛ لأنّه شكّل غاية بلاغيّة في أنواعه وأغراضه الدّلالية؛ ولذلك كان أحد فروع الإعجاز البيانيّ في لغة القرآن الكريم.

إذًا الإيجاز أسلوب إبداعيّ، يسعى المخاطَب من خلاله إلى فهم دلالات الخطاب وبيانه عن طريق الربط بين المخاطِب المبدِع والنّظم اللّغويّ الإبداعيّ لتحقيق الانسجام بين عناصر التّواصل والمتعة في تذوّق المقاصد الدّلالية للخطاب التي تترك في نفس المتلقّي أسرارًا جماليّة وإشارات دلاليّة لا حصر لها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.
- ابن فارس. مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر، 1979م.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين. الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن الكريم. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ.
- ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار صادر، 1414هـ.
- الأصبهاني، شمس الدين. بيان المختصر (شرح مختصر ابن الحاجب). الطبعة الأولى. تحقيق: على جمعة، القاهرة: دار السلام، 2004م.
- الآمدي، أبو الحسن. الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق: عبد الرزاق عفيفي. بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت.
- أنيس، إبراهيم. من أسرار العربية. الطبعة الخامسة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
- الجاحظ، أبو عثمان. الحيوان. بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ.
- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.
- الرماني، علي بن عيسى. النكت في إعجاز القرآن. الطبعة الثالثة. تحقيق. محمد خلف الله أحمد - محمد زغلول سلام. مصر: دار المعارف، 1986م.
- الزركشي، بدر الدين محمد. البرهان في علوم القرآن. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الأولى. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957م.
- الزركشي، بدر الدين. البحر المحيط في أصول الفقه. الطبعة الثالثة. تحقيق: لجنة من علماء الأزهر، القاهرة: دار الكتبي، 2005م.
- الزمخشري، محمود بن عمر. الكشاف. تحقيق: مأمون شيحا. الطبعة الثالثة. لبنان-بيروت: دار المعرفة، 2009م.
- السامرائي، فاضل. التعبير القرآني، دراسات بيانية في الأسلوب القرآني. الطبعة الرابعة. الأردن-عمان: دار عمار، 2006م.

- السكاكي، أبو يعقوب. مفتاح العلوم. ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ / 1987 م.
- السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: أحمد بن علي. القاهرة: دار الحديث، د.ت.
- الشريف الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات. ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ /1983م.
- الطبري، أبو جعفر. جامع البيان عن تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994م.
- عبد المطّلب، محمد. البلاغة والأسلوبية. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.
- العسكري، أبو هلال. الصناعتين. تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية، 1419هـ.
- العلويّ، يحيى بن حمزة. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. الطبعة الأولى. بيروت: المكتبة العصرية، 1423هـ.
- عمر، د أحمد مختار. علم الدلالة. القاهرة: عالم الكتب، 1998م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. تحقيق: د مهدي المخزومي - د إبراهيم السامرائي. بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- الفيروزآبادي. القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426 هـ/ 2005م.
- المراغي، أحمد مصطفى. علوم البلاغة. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م.
- المسدّي، عبد السلام. الأسلوبية والأسلوب. الطبعة الثانية. تونس: الدار العربية للكتاب، 1982م.